ليون تروتسكي

شريك لنين ومنشىء الجيش الاحمر

مدار اختلافه مع ستالين

الثورات تلتهم أبناءها لأنها بطبيعتها لا تقبل — وهي هائجة مكتسحة — الحلول المتوسطة أو الاتفاق بين الطرفين المتطرفين. فالفوز يكون لأحدهما بقهر الآخر وزواله. وهذه الحقيقة قضت على تروتسكي بأن يكون طريد روسيا السوفياتية بعد أن كان شريك لنين في انشائها. فهام على وجهه وهو أعزل لا يملك الا كلمتي « الثورة الدائمة » بين شفتيه فعاش نيفاً في أحدى جزائر الامراء في بحر مرمرة ثم في نروج. ولكن اوربا كلها ضاقت به فهجرها مضطراً الى المكسيك حيث استقرّ على صلة بأتباعه الى ان وافته منيته في عاصمتها على أثر اصابته بيد مغتال في أواسط شهر أغسطس الماضي

***

ظلّ اسم تروتسكي الى سنة ١٩٢٧ لا ينفصل عن اسم لنين كما ورد ذكر الثورة الشيوعية في روسيا. ولكن خلافه مع ستالين بعد موت لنين في سنة ١٩٢٤ كان لا بد ان ينتهي الى احد امرين: إما فوزه الكامل وتقلده زمام الامر في روسيا واما فوز ستالين الكامل وخروج تروتسكي من الميدان. فالتعاون بين الرجلين كان متعذراً. ذلك ان تروتسكي كان ذا فكر لماح كالبرق وبديهة حاضرة وكان خطيباً مفوهاً يشهد الذين سمعوا كبار الخطباء في هذا العصر بأنه كان أحدهم. وكان شديد الاعتماد على مكانته من مكانة في روسيا الشيوعية قائمة على مشاركته لنين في انشائها من عجاجه في انشاء الجيش الاحمر وكسب الحرب الاهلية فيه بعد الثورة ورد اعداء روسيا عن حدودها — وهما اداة الثورة في البلاد وهي الحزب الشيوعي

وكان ستالين اقلّ منه فكراً وأصلب مشيئة وأصدق إدراكاً لمنابع السلطان في روسيا فقد الحزب الشيوعي فيها مكنة من السيطرة عليه لأن أتباعه وأصدقاءه كانوا في المناصب الرئيسية فيه فصار الحزب اذا عقد اجتماعاً للبحث في مسألة خطيرة يسمع تروتسكي [illegible] وكذلك فعل تروتسكي

رويداً رويداً من المناصب التي تمكنه من توجيه سياسة الدولة ثم طرد ثم أبعد . وفي أثناء ذلك من روسيا نظمت المحاكمات المشهورة وكانت التهمة الرئيسية في معظمها الاشتراك مع « الخائن تروتسكي » في التآمر على سلامة الدولة . فهل هذا صحيح ؟

***

قبل إبداء الرأي فيه يجب ان نقول ان أعمال تروتسكي الى ان أُبعد عن روسيا تؤهله لمكانة عالية بين أقطاب هذا العصر بصرف النظر عن رأينا في الموافقة على هذه الاعمال او استنكارها . كان لا يزال في طراوة الحداثة عندما انتظم في الاعمال الثورية فسجن ونفي مراراً قبل ان بلغ السادسة والعشرين من عمره . وفي سنة ١٩٠٥ شبت الثورة الروسية الاولى بعد الحرب الروسية اليابانية — ولكنها ثورة لم تنجح — فاختير ليون تروتسكي وهو في السادسة والعشرين رئيساً لمجلس عمال (سوفيات) بتروغراد . فلما أخفقت الثورة قبض عليه وحوكم وسجن ونفي ثم فرَّ . وفي فراره من بوليس البلدان المختلفة اجتاز النمسا وسويسرا وفرنسا واسبانيا الى أميركا وكندا . ثم عاد الى روسيا في مايو ١٩١٧ وهو في الثامنة والثلاثين من عمره

والعجيب في أمره انه لم يكن عضواً في الفريق البولشفيكي من الشيوعيين عند عودته بل كان أحد أقطاب الفريق الآخر المنشق المعروف باسم « المنشفيك » وكان لنين زعيم البولشفيك قبل تروتسكي زعامته ورضخ لشخصيته على ما بين الرجلين من تباين . ولكن لنين عرف كيف يستخرج من تروتسكي أحسن ما فيه فعينهُ وزيراً للحربية وهو لا يعلم شيئاً عن فنون الحرب

ولكن الرجل نهض الى مستوى الساعة الخطيرة في تاريخ الثورة التي ما تفتأ يسعى اليها ويتعذب في سبيلها من صغره فأنشأ من مجموعة باثسة من الرجال صغار الوجوه مقطبي الجباه غائري الخدود والعيون ضيقي الأكتاف صائتي الذرع بالحرب وملابساتها جيشاً حارب به أعداء النظام الجديد في الداخل وأعداءه في الخارج . ويروى ان تروتسكي قضى سنة ثلاث سنوات في القطار متنقلاً من ميدان الى ميدان للاتصال بالفرق والكتائب لحثها على خطتها وأغراضها وتشجيع رجالها وليكون صلة بينها وبين الحكومة الجديدة

ولذلك يصح ان يقال ان عقل لنين وضع قواعد النظام الجديد ويده خطت خطوطه الرئيسية ولكن تروتسكي كان بيده الذي شق الطريق أمامه الى النجاح وقد سلك

تاريخ الثورة الروسية كتب قبل نشره — سنة ١٩٢٧ — لا يعترف له بهذه الميزة. فما أن يكون ستالين قد أمر بحذف اسمه من هذه التواريخ فلا يؤثر مطلقاً في حكم التاريخ عليه. وأعظم أعمال تروتسكي تتجلى في الفترة التي كان يعمل فيها مع لينن يداً واحدة

***

نعود الى السؤال: هل تآمر تروتسكي على الدولة

لاريب في أن تروتسكي كان يخالف ستالين في اتجاه الثورة الروسية وكل منهما من الأدلة والحقائق في حالة روسيا وحالة العالم ما يؤيد به رأيه. فستالين نحا بالشيوعية نحو اوطنية متخلياً الى حين على الأقل عن دعوة « الثورة العالمية » مكتفياً أولاً بأن تحقق الدولة الاشتراكية المثلى في روسيا. وستالين خاضع في هذا الموقع لروسيا الجغرافي واحتمال اضطرارها الى محاربة عدوين كبيرين في بلدين بعيدين أحدهما في الشرق الأقصى والآخر في أوربة. فلا بدّ من توثيق أواصر الصداقة — الى حين على الأقل — مع دول رأسمالية ولا بدّ كذلك من تحريك النزعة الوطنية في صدور الروسيين حتى يتسع الأساس الاجتماعي الذي قام عليه نظام الدولة الجديدة. وأما تروتسكي فكان مقتنعاً بأن تحقيق الدولة الاشتراكية المثلى في أمة ما لا يمكن أن يتم إلاّ إذا انهارت النظم الرأسمالية في سائر الدول. ولذلك كان رأيه وجوب المضي في الدعوة الى الثورة العالمية

فلما أقصي عن روسيا رأى على المرجح أن خير وسيلة لتحقيق رأيه هي السعي إلى إسقاط ستالين وطرده من مقام السلطان في روسيا. والغالب أن كثيرين من الشيوعيين القدماء كانوا يشاركونه هذا الرأي. فبعد التفسير المحدود كان تروتسكي متآمراً على متولي الحكم في روسيا — متآمراً مع أعداء روسيا — وكانت نفايا النازية أشدهم وأعنفهم حينئذٍ — وغير خفي

***

على أن تروتسكي كان يعتبر كاتباً ألمعيّاً من الطبقة الأولى. وفي تاريخه « الثورة الروسية » الذي نشر أخيراً يحاول أن يكتب تاريخ روسيا الحديث من وجهة نظره الخاصة وكان لا بدّ من الاعتراض على ذلك وجب أن يعتبر هذان الكتابان من أبلغ ما خلفه قلم رجل كبير إشتهر بالسياسة فلم يشتهر بالكتابة والتأليف